حول مقال

نجار ونجار

بقلم محمد السيد محمد المويلحى

تشاء سخرية القدر اللاذعة أن تحملنى قسراً ، وأن تضطرنى اضطراراً ، وأن تخرج قلمى عما اعتاده نحو أساتذته من الاشادة بنتاجهم والفخر بأدبهم الذى يضفى علينا ألواناً من الثقافة الحق التى هى جماع مافى الآداب من رقة ودقة وجمال . .

أقول : تشاء هذه السخرية المرة أن تحملنى على نقد مقال لصاحب فجر الاسلام ، وضحى الاسلام ، بل صاحب الثقافة الناشئة فى شمم المجد ، السامقة فى سماء الخلود . . لزَلَّةٍ زلّهَا ، وكبوة كباها ، ولا أحب أن أكون قاسياً شديداً فأقول : « إنها زلّة وطنية ، وكبوة قوميّة » سوف تكون سلاحاً ماضياً ، وحجة دامغة فى يد أعدائنا الذين يتصيدون هفواتنا ، وأخطاءنا ، والذين يستغلون عيوبنا الصغيرة الناشئة من جهل بعضنا ، لتكون سيفاً يشهرونه فى وجوهنا كلما هممنا أن نطلب العزة ، وأن ننشد الكرامة ، وأن ندّعى الكفاية . .

إنما أحب أن أكون هادئاً ومرشداً الى حقيقة ربما تجاهلها الأستاذ ليرفه عن قرائه ، ويضحكهم بذكر عيوب إخوانهم وأبناء وطنهم ، وليهرب فى الوقت نفسه من عناء البحث المضنى والتفكير المرهق ، الذى لايتفق مع هـذا الحر . وهذه الحقيقة : هى أن ضيوفنا الأجانب الذين يمتصون دماءنا ، ويسلبون أموالنا ، بمختلف الطرق وشتى الأساليب . . يؤلمهم جداً ، ويخيفهم جداً ، أن يروا تلك النهضة المباركة التى قام بها المصريون ، وتلك المزاحمة التى أوشكت أن تتغلغل فى كل شىء بعد أن كان أغلب المهن المُزَاحَم فيها وقفاً على الأجانب دون غيرهم . لذلك تراهم يسرفون فى اتهامهم وفى محاربتهم لجهودنا ، بل تراهم يقاومون كل عمل مثمر لنا أشد المقاومة وأخسها وأبعدها عن الشرف والكرامة . . فكيف بهم ، وهم يرون أستاذاً جليلا ، وعالما رزيناً ، يعتقد المصريون فيه كل الخير ، ويؤمنون بوطنيته أعمق الايمان ، كيف بهم ، وهم يرون الأستاذ يتطوع للدفاع عنهم بطعن شخصية مصرية بلُغة تبعث على احتقارها وتشويهها . ثم ينبرى لتمجيد نفر منهم ، وتكريم شخصيته بأسلوب يطفح إعجاباً ، ويشجع على لثم يد صاحبها التى تعمل بسكون وهدوء ، والتى لاتقلق راحة الأستاذ ، بل تدفعه الى النوم ، لأنه لايحس بها ولا بحاملها . .

أكبر ظنى أن الأستاذ نال منا أكثر مما ناله الأجانب ، وحقّر فئة منا لم تحقرها الأجانب ، لأنها مشتركة معها فى عيبها وكيف لا يكون قد نال منا وحقرنا وهو يصف بقلمه الخصب المطاوع شخصية شاب مصرى يمتهن النجارة . ويعمل فى حانوت أمام منزل الأستاذ الذى كان يراقبه عن كثب ، ولا ينصرف عنه إلا ليصف « قُصتَهُ » الكبيرة الخارجة من طربوشه صاعدة الى السماء . . وإلا تلك الملابس القذرة الممزقة التى تعلو جسمه . . وإلا تلك الحفلات التى كان يقيمها « ليلا » فى حانوته ليشرب وإخوانه بنت الحان . . وإلا تلك الأشياء التى كان يأخذها المسكين ليرممها فيبيعها ، فيأتى أصحابها ويلتحم الجميع فى معركة حامية لا يعيرها البوليس أدنى اهتمام لأنه كما يقول أستاذنا : لا يهتم بهذه السفاسف . . وإلا تلك الضجة الهائلة التى كان يحدثها عند ما يشتغل ليلا والناس نيام . . فيأمره الأستاذ بالكف عنها رحمة بالجيرة فلا يصدع بما يؤمر . . وإلا هذا الحجز الذى وقع عليه . .

أفرأى الناس . . وبخاصة القاصّينَ منهم كيف أن الأستاذ قد بذّهم فى ابتكار شخصية مصرية ليطعنها كل هذه المطاعن ؟ . فتارة يرميها بالقذارة والعربدة والكذب ، وطوراً يرميها بالنصب والعمل على إقلاق راحة الناس ؟ ؟

هب ياسيدى الأستاذ أن هذه الشخصية المصرية حقيقية . فهل يجوز أن تذكرها فى مجلة نبيلة واسعة الانتشار فى مشارق الأرض ومغاربها . ؟ على أننى أستميح عذر الأستاذ وحلمه فأقول : إننى أشك كثيراً فى هذه الشخصية المسكينة . . فكلنا يعلم أن زمن « القُصة » قد انمحى . . وكلنا يعلم أن قذارة الملبس ، وتمزيقه لا تكون لنصاب يبيع أدوات الناس وأثاثهم . بل كلنا لم يشاهد نجاراً واحداً يغلق حانوته نهاراً ، ويفتحه ليلا ليشرب ويعربد ثم يقوم فيشتغل ! ! أين البوليس الذى يقوم بالحراسة والمحافظة على راحة الناس ، وبخاصة فى الأحياء الراقية التى يقطنها الأستاذ ؟ ؟

هل كان يترك الأسطى حسن يعربد ، ويشرب ، ويدق ، ويشق ، ويتركك ترجوه وتستعطفه دون أن يعير هذا أدنى اهتمام . أم كان كما تقول فى حديثك عنه « لايهتم لهذه السفاسف . » . ؟ ؟

وإذا كان النصب والاحتيال ، والسكر والعربدة ، وإقلاق راحة الناس سفاسف ، فما هى الكبائر . . ؟ ؟

أعترف أن الحر يؤثر فى نشاط العقول حتى الكبيرة منها ، وأعترف أيضاً أن جوضاحية الأستاذ قد ظلم الأسطى حسن المصرى أفحش الظلم ، وأشاد بفضل الأسطى « الرومى » كل الاشادة ، حتى أن الأستاذ لفرط إعجابه به لم يسمع شقه ودقه . لأنه يشق ، ويدق فى حرير لا فى خشب ! ! وإلا لما قال ما معناه . .

« . . وحلَّ محل الأسطى حسن شاب زومى يماثله سناً ومهنة . ويختلف عنه نظافة وأدباً وإتقاناً وصدقاً . . حتى أنني لم أحس به إلا بعد ستة شهور . لأنه يفتح حانوته نهاراً ، ويغلقه قبيل الغروب . . وأذكر أنني استدعيته مرة ليصلح دولاباً فطلب ضعف ما كان يطلبه الأسطى حسن فأعطيته ما طلب لوثوق من وفائه ، وصدق ميعاده . . »

يا لله . . وكيف لا يكون وفياً صادق الوعد ، وقد أعطيته ضعف ما كان يأخذه المسكين حسن الذى لو جرؤ وطلب هذا الضعف لرميته بالجشع والطمع . .

لعلى فى هذه الكلمة قد أرضيت الحقيقة التى تكلمت عنها فى كلمتى السابقة بالوادى الأغر ، والتى قلت فيها

« إننى لا أحب إلا الحق ، ولا أكتب إلا له ، وله وحده : لا فرق عندى بين شيخ وشاب ، ومشهور ومقبور »

ولعل الأستاذ يعتقد أنني لم أكتب هذه الكلمة إلا لأنى أحب أن أقرأ لصاحب فجر الاسلام وضحاه شيئاً غير هذا الأدب الذى يبعث الأجانب على احتقارنا .

ولعلى أيضاً لم أغضب أستاذنا فيتقبل كلمتى بقبول حسن ، ويحملها محملاً خالياً من الغرض ، بريئاً من اللؤم . فانها لا ترمى إلا الى تمجيد أمة فتية تتوثب نحو الكمال والنور ما ؟

(الرسالة) نعتقد ويعتقد معنا الكاتب الفاضل أن الأستاذ الجليل احمد أمين لم يرد بما كتب تحقير العامل المصرى ولا إيثار الأجنبى عليه ، وانما أراد ايقاظه واصلاحه من طريق المقارنة والمثل . واخفاء العيوب خوف الشماتة مظنة لعدم الشعور بها ، ومن حق الناقد الاجتماعى أن يجسم بعض العيوب لتتمثل فى الاحساس الضعيف ، وتبرز أمام العين الكليلة . ولأن نسمع عيوبنا من أساتذتنا نقداً ونصيحة ، خير من أن نسمعها من خصومنا سباً ونقيصة !

نسبة شعر

قرأت فى مقال (ابراهيم بك مرزوق) المنشور فى العدد السابع والخمسين من الرسالة بقلم الأستاذ محمود خيرت فيما روى عن المرحوم المنفلوطى هذا البيت :

مضى بها مامضى من عقل شاربها ... وفى الزجاجة باقٍ يطلب الباقى

أورده فى قصة حكاها عن رجل قال إنه كان رئيساً (باشكاتب) لكتبة محكمة اسكندرية الشرعية ؛ ثم قال الراوى : « ولا أدرى اذا كان هذا البيت من مقوله أو قديم »

والبيت قديم من قصيدة لعبد الله بن العباس الربيعى [1] يقول فيها :

ومستطيلٍ على الصهباء باكَرَها ... فى فتيةٍ باصطباح الراح حُذّاقِ

يمضى بها مامضى من عقل شاربها ... وفى الزجاجة باقٍ يطلبُ الباقى

فكل شىء رآه خالهُ قدَحاً ... وكل شخص رآه ظنه الساقى

والذى نسبتْ اليه القصة لم يكن رئيساً للكتبة ، ولكنه كان أحدهم ، واسمه الشيخ احمد ، وكان مليح النادرة معروفا بالنكتة ، سمعت عنه مضحكات كثيرة ، منها انه كان ذات يوم نازلا من المحكمة فالتقى برجل صاعد يطلب مقابلة الرئيس ، فسأله الرجل : ياشيخ احمد هل الرئيس فوق ؟ . قال هو فوق ولكن أعضاءه نزلتْ . . . ومنها أن عمى المرحوم الأستاذ الشيخ عبد الرحمن الرافعى ، وكان نقيباً لمحكمة اسكندرية ، سئل فى ميراث يراد معرفة ما يُفرض منه لكل وارث ، وكان الشيخ احمد هذا يكتب عنه الفتاوى ، فكلفه المفتى أن يعمل ما يسمونه « شبّاكا » وهو رسم ذو بيوت يُذكر فيه الورثة أصولا وفروعا وفريضة كل منهم ، ولما كان الغد سأله : ياشيخ احمد هل عملت « الشباك » ؟ فقال ياسى الشيخ : ما ليش « طاقه » .

أما النادرة التى رواها الأستاذ خيرت وحكاها له المنفلوطى فليست بصحيحة على ذلك الوجه ألبتة ، إذ لا يعقل أن عالما فاضلا رئيساً لمحكمة شرعية يقول لرجل : أنت طالق

والذى رُوى لى أن أحد الموظفين مع الشيخ احمد قاطعه على

[البقية فى أسفل الصفحة التالية]

(١) وهى تنسب أيضاً الى أبى نواس (الرسالة)